

## إسهامات دور النشر في تطور اللغة العربية في نيجيريا إعداد

د. يعقوب عبدالله

قسم اللغة، العربية كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، إلورن، نيجيريا  
مقدمة:

تعتبر الطباعة ودور النشر من عوامل أساسية ووسائل ناجحة في نشر الأفكار والدعوة إلى العقائد والمفاهيم وبث الرؤى. واللغة هي الآلة الوحيدة والوعاء الفريد لنقل تلك الأفكار والمفاهيم، فالنجاح والوصول إلى الغاية في أداء المهمة الفكرية والدعوية يتوقف أولاً على صلاحية اللغة وهيمنتها وقدرتها على أداء الرسالة، وتأثير على الجمهور. ومن هنا تأتي أهمية الاستثمار في اللغة وبذل الجهد والطاقة في إتقانها وتطويرها لتلبي الحاجات والمتطلبات، وتعني بالمصالح القومية والتحديات العصرية. ولما كانت تأتي دور النشر والطباعة في الدرجة الأولى من الآليات التي تعتمد عليها اللغة في هذا العصر للحياة والنمو والتطور، فالاستثمار في اللغة إذًا يقتضي الاستثمار في دور النشر والطباعة كوسيلة تعتمد عليها للحياة والنمو والتطور. ولقد دخلت اللغة العربية في نيجيريا منذ القرن الحادي عشر الميلادي<sup>1</sup>، ومرت بمراحل متعددة، وشهدت تطوراً وازدهاراً في عصور مختلفة، لكن تعد ما قدمتها دور النشر والطباعة في تطورها وازدهارها في القرن الماضي والحاضر من أسمى وأعلى الإسهامات والإنجازات. لذا يسعى هذا البحث في تتبع وتقييم إسهامات وإنجازات دور النشر في تطور اللغة العربية في نيجيريا لإعطاء فكرة عامة وإبراز الجوانب المتضحة في تلك الإسهامات، فيناقش بعد المقدمة نشأة الطباعة العربية، وتسهيل النشر والطبع، وتشجيع العلماء على الكتابة وتنقيح الإنتاجات العلمية، وإتقان مهارة الإملاء والكتابة، وتعليم الموظفين العربية، وانتشار الوعي العربي، والترجمة إلى العربية، ويركز الباحث في البحث الميداني على دور النشر في

مدينة إلورن لا لموقعها الجغرافي فحسب، بل لمكانتها في الثقافة العربية متوقعا أن البيانات والاستقراءات المستنبطة منها لا تكون بعيدة عن أخواتها في البلاد.

### نشأة الطباعة العربية:

تعد الطباعة من عوامل النهضة الحديثة في بلاد العرب، وهي كذلك في بلدان أخرى مسبقة إلى فن الطباعة أو متأخرة عنها، فقد عرفت البلاد العربية أول مطبعة في أوائل القرن السابع عشر الميلادي ببلدان، وظهرت الطباعة في سوريا في القرن الثامن عشر الميلادي، بينما تأخر ظهورها في مصر إلى سنة 1721م حين أنشأ محمد علي المطبعة الأهلية التي عرفت بمطبعة بولاق.<sup>2</sup> وكانت تطبع بها الوقائع المصرية ثم كتب الثقافة العربية، وبهذا أخذ فن الطباعة تتقدم تقدما عظيما حتى انتشرت في البلاد العربية كلها في القرن العشرين، ومن أشهرها اليوم: مطابع الهلال والمعارف بمصر والمطبعة الكاثوليكية والمطبعة البولسية ببلدان.<sup>3</sup>

أما المطابع ودور النشر في نيجيريا فيرجع عهدها إلى العشرينيات من القرن الماضي، فأول مطبعة قامت بمهمة طبع الكتب العربية هي المطبعة الأميرية بكنو، وبعدها مطبعة ألوشيء ومطبعة ين قسا، وأنشئت في كدونا المطبعة الحكومية في الثلاثينيات ثم في زاريا مطبعة نُولا ومطبعة غسكيا.<sup>4</sup> أما في جنوب نيجيريا فأول مطبعة عربية هي مطبعة إجيبيو أدي ثم مطبعة الثقافة العربية بأغيغي،<sup>5</sup> وكانت هذه المطابع تقوم بطبع الكتب المدرسية الصغيرة والمقالات والمنشورات بالحروف العربية، ثم في أواخر القرن العشرين أخذت المطابع ودور النشر تنتشر في بلاد نيجيريا انتشارا كثيرا، بحيث توجد في كل ولاية من ولايات شمال نيجيريا وفي كل بلدة من بلدان المسلمين مطبعة تقوم بنشر الكتب العربية من مؤلفات العلماء والكتب المدرسية وطبع اللوات والدعوات والمجلات، ومن أشهر هذه المطابع في مدينة إلورن مثلا: مطبعة كيوليري الإسلامية، ومركز المضيف للطباعة والنشر، ومركز الهدى

للفنون التخطيطية للكمبيوتر، ومطبعة ألابي، ومطبعة كيودملولا. الأمر الذي بشر بالثقافة العربية في البلاد ونشر الوعي العربي وتطور اللغة العربية.

### تسهيل النشر والطبع:

كان أصحاب التأليفات فيما قبل القرن العشرين في هذه البلاد يعانون الصعوبات وتواجههم المشاكل في طبع مؤلفاتهم وإخراج المخطوطات إلى حيز الوجود لقلة المطابع وعدم توفرها قريبا إليهم، وما يكلفهم من العناء والسفر إلى أماكن بعيدة قبل الحصول على مآربهم ورغباتهم، لكن تحسنت الحال منذ أواخر القرن الماضي بتوفر دور النشر في جميع ولايات نيجيريا، وفي أكثر بلدان المسلمين، فوجد المؤلفون وأصحاب القلم السبيل مفتوحا أمامهم لنشر مؤلفاتهم وإيصال إنتاجاتهم إلى القراء، فعمت المنافع واتسعت رقعة اللغة العربية في البلاد، وربما تصدت بعض هذه المطابع إلى تخفيف مؤونة الطبع للمؤلفين الفقراء الذين لا يملكون المبلغ الكافي لطبع إنتاجاتهم، وذلك بتأجيل بعض تكاليف الطبع إلى ما بعد إنجاز الطبع وبيع بعضها قبل تسديد ما تبقى من المال.<sup>5</sup>

### تشجيع العلماء على الكتابة:

صارت دور النشر والطباعة عاملا كبيرا وحافزا مشجعا للعلماء والدارسين على الكتابة والتأليف، حيث أدركوا أن ما يكتبون تصل إلى القراء وينتفعون بها، ويرجع إليهم الشاء والدعاء بالخير، فلوحظ في أوساط المثقفين بالعربية المسابقة والمبادرة إلى التأليف في الفنون العلمية من فقه وحديث وتوحيد وتجويد وسيرة، والكتابة في الفنون الأدبية من قصة ورواية ومسرحية وإصدار الدواوين الشعرية، وإعداد المقالات العلمية والكتب المدرسية ونظم القصائد أيام الحفلات والمناسبات والأعياد وتوزيعها على الحضور. ولولا توفر الطباعة لما تشجع أو فكر كثير من الكتاب والمؤلفين فيما جادت بها قريحتهم من الإنتاجات.<sup>6</sup>

### تنقيح الإنتاجات العلمية

نبغ في هذه البلاد علماء مشهورون أصحاب مؤلفات قيمة، تشهد لهم إنتاجهم بتفوقهم وعلو كعبهم في اللغة العربية وفنونها، وبجانب هؤلاء العلماء علماء آخرون زهدوا في الدنيا وما فيها، كانوا يرون فيما كتبه السابقون من العلماء غنى وكفاية وإحاطة، ولشدة زهدهم وتواضعهم أبوا الخوض في الكتابة والتأليف، ومنهم من رفض الكتابة لاعتقاده تواضعا بقله بضاعته العلمية، وفيئة أخرى من العلماء ألفت من دون إسناد المكتوب إلى مؤلفه، فيظل المكتوب عنده أو عند بعض تلاميذه.<sup>7</sup>

وبتوفر المطابع وكثرتها في البلاد النيجيرية أدرك العلماء والمؤلفين أهمية النشر، وتنبهوا إلى أهمية تنقيح الإنتاجات قبل تقديمها إلى الطباعة، وبذلك بدأ الكتاب وأصحاب التأليفات باختلاف مستواهم العلمي والفكري والاعتقادي يولون مؤلفاتهم أهمية التنقيح والتنقيب بمراجعتها وتقديمها إلى أصحاب الخبرة العلمية ممن يثقون به في العلم للتقويم والتصويب، إضافة إلى ما تقوم بها بعض دور النشر من مسؤولية التقويم والتصويب والتنقيح النهائي.<sup>8</sup> وإن هذه العملية ساهمت في تطور اللغة العربية في البلاد ونضوج الإنتاجات التي يصدرها المنتمون إليها في جميع المستويات التعليمية.

### إتقان مهارة الإملاء والكتابة:

إن مهارة الإملاء والكتابة من المهارات اللغوية والمواد الدراسية التي لا يستهان بها في تعلم اللغة وتعليمها، بل تأتي أهميتها في الدرجة الأولى من بين المواد التي يجب على الناشرين والمطابع الاهتمام بها، وقد اتضح في صفحات بعض الكتب والمكتوبات قصور المؤلفين وعدم إلمامهم وإحاطتهم بالحقائق الإملائية، وحينما يكال اللوم والعيب على المؤلفين فلا تبرئ دار الطباعة من ذلك القصور بل تشاطر المؤلفين فيه، وقد يؤثر ذلك في شهرة دار الطبع ورواجها، لهذا سعت دور النشر في البلاد وخاصة في مدينة إلورن إلى تعلم المهارة الإملائية وتعليمها لموظفيها

والمشرفين على الطباعة، كما تنبه كثير من المؤلفين وخاصة الذين ليس لهم الخلفية العلمية في المهارة الإملائية أنهم بالحاجة الماسة إلى تعلمها وإتقانها، فعكفوا على تعلمها وتهذيبها والتدريب عليها، الأمر الذي جاء بالحل الصحيح والوجيه لما ينتاب الكتّاب من الشك والحيرة في معرفة الصحيح من الخطأ في رسم بعض الكلمات.<sup>9</sup> وهذه من الحقائق التي ألهب الشعور والاهتمام لدى المدرسين والمدرّبين في المدارس على العناية والقيام بتعليم المهارة الإملائية وتدريب الطلبة عليها تدريبا جيدا.

### تعليم الموظفين العربية:

إنه من الحقائق والثوابت التاريخية كثرة رواد اللغة العربية في هذه الديار منذ منتصف القرن الماضي إلى الوقت الحاضر، وكثرت بذلك المؤسسات التعليمية من المدارس الثانوية الأهلية والحكومية إلى المعاهد العليا والجامعات التي تدرس فيها اللغة العربية، فتصاعفت الحاجات والدواعي إلى إيجاد وتأسيس دور النشر والطباعة تلبي حاجات المؤلفين والدارسين على مختلف المستويات التعليمية، وقد أدرك بعض المثقفين بالعربية هذه الحقيقة والحاجة فتبادروا إلى الاستثمار في إنشاء المطابع العربية لنشر الثقافة العربية. وقد تكفلت هذه المطابع بالدخل والثروة لأصحابها ما يغنيهم للمعيشة اليومية، كما وقّرت لعدد كبير من السكان من مثقفي اللغة العربية وغيرهم الوظيفة على وجه الاستمرار.<sup>10</sup>

ولما كان القيام بمهمات الطبع والنشر يحتاج إلى القدرات العلمية والخلفيات المعرفية والمهنية وخاصة التعمق والإتقان للغة اضطرت الكثرة من دور النشر إلى تعليم وتدريب موظفيها على إتقان العربية والتمكن في المهارات اللغوية بما فيها المهارة الإملائية والكتّابية، وذلك بتأسيس الفصول الدراسية والدورات التدريبية المبرجة على المستويات التعليمية حسب خلفيات الموظفين. وذلك نوع من الاستثمار في اللغة العربية عن طريق تشغيل المدرسين الأكفاء والمدرّبين الممرّنين،

وقد رجعت تلك الجهود والنفقات بالصالح والخير إلى المطابع ودور النشر للحفاظ على روادها وزبائنها لحسن الثقة من إصداراتها ومنشوراتها.<sup>11</sup>

وقد لوحظ فريق آخر ممن أراد الاستثمار في المطابع العربية بعدما أدركوا قلة بضاعتهم اللغوية والعلمية أن التحقوا بالمؤسسات التعليمية لكسب المعارف والعلوم اللغوية ما يؤهلهم القيام بمهمات الطبع والنشر على أحسن الوجه، وذلك أنهم بدأوا في الاستثمار في كسب المهارات اللغوية وإتقانها قبل الخوض في الاستثمار في إنشاء المطابع أو انضمام إلى الشركة المطبعية.<sup>12</sup>

### انتشار الوعي العربي:

إن توزيع دور النشر في البلاد وكثرة المؤسسات الطباعية ساعد في تعميم الوعي العربي بين أوساط المثقفين بالعربية وغيرهم من المسلمين، ذلك لما كانت تصدرها هذه الدور من المجلات واللوات والدعوات والكتيبات، وكان يقصدها جل السكان أيام الحفلات والوقائع التاريخية لطبع الدعوات واللوات والإعلانات، فصار ذلك من أسباب ازدياد الدخل والثروة للمؤسسات الطباعية، وبالتالي ساهم في تطور اللغة العربية واستعمالها في شتى المجالات الحيوية وقدرتها على مساندة الأوضاع اليومية والمتطلبات العصرية. وقد تعلم السكان عن طريق تلك المنشورات كثيرا من الاصطلاحات بالعربية، فعم الوعي العربي حتى بين غير المثقفين بها.<sup>13</sup>

### الترجمة إلى العربية:

كما أسلفنا أن المطابع شجعت الكثرة من المؤلفين على الخوض في مجال الكتابة والتأليف كذلك شجعت الذين لهم الرغبة والقدرة اللغوية لترجمة الأعمال الأدبية وغيرها من اللغات المحلية إلى العربية على انكباب على الترجمة، يدفعهم الأمل والرجاء أن جهدهم سينال الرضى والتشجيع والتقدير لدى القراء بعد النشر والتوزيع.

ولما كانت الترجمة فن له قواعد وأصول ووسائل فهو يحتاج إلى النفقة والاستثمار في سبيله وبذل الطاقة في القراءة والمراجعة والمقابلة والتنقيح، تستغرق مدة طويلة قبل إخراجها في الشكل الأخير. ومن أشهر أعمال الترجمة من اللغات المحلية إلى العربية في البلاد: كتاب قصب المخيم للأستاذ شيخ أحمد عبد السلام، والصيداء الجريء في غابة العفاريت للدكتور مشهود محمود جمبا. هذا وقد أثرت هذه الترجمة على ذوق المتعلمين وثقافتهم وزودت المكتبات العربية بالإنتاجات الجديدة، كما ساعدت في إثراء الذخائر اللغوية وانتقاء التعابير المناسبة لدى المترجمين.

## الخاتمة

أثبت البحث الحقائق والثوابت الأساسية فيما يتعلق بإسهامات دور النشر في تطور اللغة العربية في نيجيريا. وهي أن دور النشر والطباعة قدمت خدمات جلييلة وروافد رفيعة في توسيع رقعة اللغة العربية والاستثمار في ظلها، فتوزيع المطابع في البلاد وكثرتها ألهمت الشعور والاهتمام بالثقافة العربية تعلمًا وتعليمًا وإنتاجًا، حيث سهلت للمؤلفين مؤونة النشر والطبع، وشجّع العلماء على إنتاجات علمية، ووجهت الناشرين والمؤلفين إلى إتقان المهارات اللغوية، كما بثّرت بالوعي العربي عبر طبع المجالات والكتيبات واللوات والدعوات وغيرها مما تلفت الأنظار وتوقظ الضمائر نحو مكانة اللغة العربية وقدرتها ومسايرتها للحياة العصرية، تعد تلك كلها من التطورات التي حققتها اللغة العربية من خلال معطيات المطابع ودور النشر.



## الهوامش

- 1- شيخو أحمد سعيد غلادنت، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، مصر، 1992م ص 48
- 2- علي محمد حسن، التاريخ الأدبي للعصرين العثماني والحديث للصف الرابع الثانوي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م، ص 19
- 3- خنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البولسية، بيروت، غير مؤرخ، ص 906
- 4- علي أبوبكر الثقافة العربية من 1750م إلى 1960م عام الاستقلال، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت، 1972م، ص 232
- 5- المقابلة الشخصية مع السيد عبد الرؤوف عبد الرحيم أساليجو، صاحب مركز المضيف للطاعة والنشر، إلورن.
- 6- من خلال المقابلة الشخصية مع السيد عبد الرؤوف عبد الرحيم أساليجو
- 7- آدم عبد الله الإلوري، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، دار المعارف، 1987م، مصر، ص 15
- 8- الحوار مع السيد عبد الرؤوف عبد الرحيم أساليجو.
- 9- المقابلة الشخصية مع الحاجة راضية مصطفى، صاحبة مركز الهدي للفنون التخطيطية للكمبيوتر، إلورن.
- 10- المناقشة الشخصية مع الحاجة راضية مصطفى.
- 11- المرجع نفسه.